

تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها على ضوء عولمة مناهج تعليمية اللغات ثنائية العقد الديدداكتيكي (معلم-متعلم) نموذجاً

أ.د/ ديدوح عمر

الطالب: بوغزي محمد

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان(الجزائر)

الملخص:

أضحّت اللغة العربية بفضل تراثها الثقافي الضخم، تحتل المراتب الأولى في تصنيف اللغات العالمية، مما جعلها محل استقطاب العديد من المتعلمين، من جميع أصقاع المعمورة، الأمر الذي يحتم علينا صياغة مناهج تربوية ملائمة لهؤلاء، خاصة في ظل ما تفرضه تحديات العولمة، وما يصاحبها من إكراهات تنعكس على المجتمعات والأفراد على حد سواء. وإن تحديد معايير ملائمة، تخدم اللغة و تعيد تشكيل العلاقة بين المعلم - المتعلم، ودور كليهما. **الكلمات المفتاحية:** عولمة المناهج - مرتكزات القيم التربوية - دور المعلم و المتعلم - طبيعة المناهج اللغوية .

Abstract :

Arabic language takes the first place among the different international languages thanks to its greatest cultural heritage. It attracts many learners from other countries to acquire it. So ,we have to state suitable pedagogical syllaby for them, and identify good criteria which helps the language to make a relationship between the teacher and the learner and the role of both of them.

Key words:

Globalization of syllabus-basic of pedagogical values – Role of educator and learner – characteristic of language syllabus.

مقدمة:

إن قضية تعليمية اللغة العربية للناطقين بما قضية جوهرية شغلت و لا تزال تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامات الباحثين والمربين، نظراً لوطادة صلتها بالمنظومة التربوية من جهة وبالمنظومة الاجتماعية من جهة أخرى. وقد خصصنا لها العنوان البارز: " تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها على ضوء عولمة مناهج تعليمية اللغات (ثنائية العقد الديدداكتيكي - معلم - متعلم نموذجاً) ". وهو عنوان أردنا من خلاله إبراز نوعية المناهج اللغوية المراد تطبيقها في المدارس، وخلفياتها المتصلة بالرهانات العالمية المصاحبة للنظام العالمي الجديد، وقد ركزنا على طريقي العملية التعليمية التعلمية (معلم - متعلم) بالبحث عن أوفق المناهج في تقديم تعليم ناجع للناطقين بغير اللغة، معتمدين على خبرات سابقة في مجال تعليمية العربية للناطقين بغيرها، في سياق عولمة المناهج التي أفرزتها

رياح العولمة، ومحاولة تكييفها مع التغيرات السريعة التي أنشأتها الإكراهات التكنولوجية الحديثة بكمها المعرفي الهائل، الذي أحدث خلخلة في طبيعة العلاقة التي تربط هذه الثنائية. ونحن إذ نفتتح هذا النقاش، إنما نروم من خلاله إعطاء نظرتنا الخاصة لنوعية المناهج المتركة أساسا على إعادة النظر في بنية مخرجات التعليم الموجه للناطقين بغير اللغة العربية. وعليه نطرح الإشكالية الآتية:

- أي التعديلات نرغبها للنهوض بأعباء المناهج اللغوية في ظل تعدد المعايير وخاصة المعايير المتعلقة بتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة؟
- كيف يمكن تحديد طبيعة العلاقة بين المعلم والمتعلم، ودور كليهما في ضوء هذه المتغيرات؟
- كيف يمكن الاحتياط من تحدي العولمة الثقافية؟

1- مفهوم العولمة: النشأة و التدايمات

1- أ- مفهوم العولمة: يرى بركات محمود مراد أن مصطلح العولمة كمفهوم متحلق حول الرأسمالية، اتجاه أساسي يرمز في عمقه إلى أبعاد عديدة ثقافية، واجتماعية وسياسية، مرتبطة أساسا بالنظام الاقتصادي العالمي الجديد الذي تحاول الدول المهيمنة اقتصاديا فرضه على بقية شعوب العالم¹.

وقد تبلورت معالمه إثر سقوط المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي سابقا، وظهور ما يسمى بالقطبية الأحادية² التي أثارَت جدلا وخلافا كبيرين في أوساط المثقفين بخصوص إمكانية قبولها أو رفضها، الاستسلام لها أم محاربتها، الدخول والمشاركة فيها أم التعامل معها بحذر...³

1- ب- التدايمات: ودون الوقوع في جدل ماهية العولمة و تضارب سلسلة التعريفات بخصوصها، والتي اجتهد عديد الباحثين في وضعها لتحديد المصطلح تحديدا دقيقا، نحاول من خلال هذه المداخلة ليس دراستها كحركة حضارية أو تاريخية أو اقتصادية أو سياسية، بل كشف التحديات المفروضة على اللغة العربية باعتبارها أبرز مقومات الهوية الوطنية، وحاملة الوعاء الثقافي للأمة، وما تشكله من حضور قوي أو ضعيف في المناهج المسطرة في منظومة التربية للناطقين بغير اللغة العربية، التي نريد أن نهض بها وفقا لتطلعات الأمة العربية، و تمكينها من فرض ذواتها فرضا صحيحا، في عالم لم يعد مشابها لذلك الذي عرفنا ونشأنا في كنفه، عالم تتغير فيه القيم والمبادئ باستمرار تغيرا سريعا ورهيبا.

2- آليات العولمة: كان من تداعيات العولمة بروز ثورة إلكترونية، و انتشار الآلات التي تقدم خدمات متعددة للبشرية عوضت الطرق التقليدية، وأصبحت مختلف المعاملات التجارية والإدارية في معظمها تتم وفق آليات هذه الثورة، كما ظهر الكتاب والتعليم و المعلم الإلكترونيين، وتجلت أحدث صور التعلم في استخدام وسيلتي الصورة والصوت كإحدى أبرز الطرق لتقدم العلم والمعرفة. وبدأت نسبة غير قليلة من المتعلمين تألف تدريجياً هاتين الوسيلتين، ليس فقط للنهل من المعرفة، بل لسد النقص وملء الفضول المتزايد الموجه لاكتشاف آفاق جديدة لم يعهدها الناس في مختلف جوانب الحياة، وهي غير محصورة في الزاد المعرفي فحسب، بل بكل ما له صلة بالعادات اليومية والسلوكيات الاجتماعية لشعوب المعمورة، فحدث التلاقح والثقاف المعرفي، والتأثر الواسع بالمادة المعروضة بعد انتشار المدرسة الإلكترونية⁴، المتباينة تماماً في شكلها وهيكلها عن تلك المصنوعة من الإسمنت والحجارة. وأصبحت قنوات الاتصال الجديدة هي البديل الذي يفني بغرض انتقال المعلومات والأفكار من الآلة للمتعلم مباشرة، كما لم يعد الحضور الجسدي مشكلة تعيق المتعلمين في الاكتساب، فالآلة مشخصة في الحاسوب والهاتف اللاسلكي يسرا للناس العديد من الحاجيات وعلى رأسها التسوق والتعلم.⁵

3- معالم العولمة على المجتمعات:

3-أ- إشكالية الحتمية و الحرية: يتساءل البعض ومن بينهم جلال أمين عن حقيقة مفهوم العولمة وما إذا كان كل الناس مجبرين على اتباعها و التقيد بها كنمط حياتي، أم هي خيارات يقوم المواطن باللجوء إليها إرادياً كما يفعل مع باقي الخيارات. لقد أصبحت قنوات الاتصال الجديدة هي البديل الذي يفني بغرض انتقال المعلومات و الأفكار من الآلة للمتعلم مباشرة ، فيقول: " إن العولمة في حقيقتها ليست إلا عولمة نمط معين من الحياة، لا أشعر بأي التزام بتبنيه واتباعه"⁶ ويضيف متسائلاً عن الانقياد القسري لهذا النوع من التعددية الصورية في التعبير عن الرأي من خلال كثرة القنوات التعبيرية ممثلة في المجالات والجرائد والصحف، وكل هذه القنوات متوفرة في الحقيقة بعيداً عن الهيمنة الإلكترونية لكبريات الشركات الأجنبية⁷. وإذا كانت العولمة تتغنى بالحرية: أليس الحرية في اختيار النمط الحياتي والقنوات التعبيرية التي نريد؟ أم أن الخيار الوحيد المطروح أمامنا ليقال عنا أننا حدثيين، هذه النماذج الغربية في شكل قيم جاهزة للاستهلاك ولا بديل عنها إن أردنا "الدخول في العالمية على قدم المساواة مع الغرب"⁸ ثم يضيق قائلاً بخصوص تحديد مفهوم التحديث: "والتحديث لا يوصل إلى شكل واحد من الاندماج الاجتماعي والثقافي

في كل مجتمعات العالم، والعالمية لا تتشكل إلا من سلسلة من الاختلافات أكثر مما تتشكل من التقاربات بين الحضارات الحديثة⁹.

كما أضحت "اللهجات المهذبة لبقاء اللغة القومية الفصحى هي العدو الثقافي الشرس لأنها تنتصب حليفا موضوعيا للكونية الغازية..."¹⁰ فمن الأوجه الأخرى للعوامة، العوامة الثقافية التي تريد بتجاوز الحدود، نقلنا من المحلية إلى القومية إلى الكونية، لطمس لغتنا و تراثنا الذي يمثل هذه اللغة. وإذا كنا نقف في الطرف المحايد للأشكال الأخرى من العوامة، كونها لا تعيننا في هذه الورقة، ونعني بها الجوانب الاقتصادية والسياسية، إلا أننا نسجل تحفظنا الشديد من خطورة أي تغيير يمس هويتنا الثقافية ومختلف قيمها الأصلية. وبخصوص اللغة الفصحى يتساءل البعض عن أنسب فصحى يتم بها تزويد المتعلمين الأجانب مختلف المعارف: فصحى التراث أم فصحى العصر الحديث؟

والإجابة هي الاثنان؛ فالأولى يتم استعمالها من أجل التركيز على تعليم مواد(النحو و الصرف والقراءة و الكتابة) والثانية لتعزيز المهارات الأربع ونعني بها (المحادثة -القراءة- الكتابة - السماع)، بينما لو استخدمنا اللهجات العربية في التدريس، فإن الدارس الأجنبي يقف حائرا أمام تعدد اللهجات بتعدد البلدان العربية، وهو مستوى لغوي يمكن اللجوء إليه إذا أراد المتعلم الأجنبي التعرف على إحدى اللهجات العربية في منطقة من مناطق القطر العربي الكبير.¹¹

3-ب- عولمة الثقافة و القيم الاجتماعية: إذا كان الاقتصاد هو المحرك الأساسي لخلق الثروة، فإن البحث عن أحدث الوسائل للحصول على المعرفة والمهارات والأفكار الجديدة وتنميتها بالشكل المناسب، من الاستراتيجيات التي أصبحت جل دول العالم تسعى للتزود بها تحقيقا للنجاح العلمي و الاجتماعي و الاقتصادي.¹²

إنه تحدي آخر مفروض على الأمة العربية يمس قيمها الثقافية التي دخلتها عناصر جديدة، غايتها تمزيق الهوية والمقومات الشخصية للبلدان العربية، وإحداث انسلاخ الأفراد عن أصلهم، فتحل محله التبعية الفكرية للثقافة العالمية ذات البعد الحضاري الغربي، والزوال التدريجي للثقافة المحلية، من خلال تكريس أنماط سلوكية غريبة قائمة على تشويه الأنماط التقليدية للعادات والتقاليد ومختلف جوانب الحياة، فينعكس كل ذلك بالسلب على الأسرة والمجتمع، مما يضعف انتمائهم للأرض التي نشأوا فيها و الواقع الذي ارتبطوا به.¹³

وتعتبر عملية الإشباع بالمواد الثقافية سواء ما تعلق بالعادات والتقاليد القادمة من مكان آخر دليل على التهديد المستمر للمادة الثقافية المحلية.¹⁴ كما تتعرض اللغة أثناء الاتصال بلغات أخرى

إلى التحريف نتيجة تعرضها للاختزال أو التسوية لتكييفها بسهولة مع السياق، و هي لغة محرفة تفقد معالمها الأصلية وتتأثر بناها السطحية بشكل واضح و جلي خلال الاستعمال¹⁵. وهكذا أصبح في ضوء هذا المصطلح كل شيء قابل للعوامة بما فيها "الأشياء المجردة كالأفكار والأعراف والممارسات السلوكية والأنماط الثقافية"¹⁶.

3-ج- عولمة الصورة والصوت: كان لازدهار وسائل الإعلام و تقنيات الاتصال بشقيها السمعي والبصري، كمنظومة علمية وإحدى أجمع الوسائل المستخدمة في العوامة، تأثير كبير على الأفراد وعلى اتجاهاتهم وأحاسيسهم نظرا لما تشكله من قوة الإقناع وإحداث التغيير المرغوب، بحيث تحاول "اختراق الثقافات التقليدية بدءا من إثارة الشبهات حول القيم والعادات والتقاليد، ومرورا بزعة اليقين فيها... وانتهاء باستبدالها بثقافة جديدة... فيدب الوهن والضعف فيها، وتأخذ في التحلل والزوال"¹⁷ وبسيطرة تقنيات الاتصال عبر الشبكة المعلوماتية، تم تغييب العقول وفقدان قدرتها على التمحيص فطمست الحقائق لما بدأ النشء الصاعد يتعامل مع عالم قائم على تمرير أنماط اتصالية افتراضية، وبعيدة كل البعد عن العالم المادي والواقع الحقيقي، إذ يتعرفون من خلالها على أساليب حياتية مختلفة وعلاقات لم يعهدوها من قبل.¹⁸

3-د- ثقافة الأنا والغير في إطار المناهج الجديدة: وإذا كانت التربية توليد وإبداع، فإن الفرد الحسن التمرس والتكوين يستطيع بفضل نمله من منابعها الصافية، أن يكتشف مكامن القوة و الضعف عند الآخرين، والاستفادة من خبراتهم الإيجابية وإضافتها لخبراته "لذلك إن سياسة التربية ومناهجها، التي لا تبصر معطيات العصر ومتطلباته ولا تسلح النشء برؤية الطريق و طريق التعامل تعاني من اغتراب الزمان، و التربية التي تستدعي مناهج ووسائل وأدوات من (الآخر) دون إبطار لمستوى ومكونات (الذات)... تعاني من اغتراب المكان، ذلك أنه من الثابت حضاريا أن الأمم التي تطورت إنما تطورت من خلال تنمية (الذات) و تطويرها..."¹⁹

لقد أصبح من البديهي الآن في ضوء المتغيرات السريعة والمشكلات التي أفرزتها العوامة، أن نسلك مسلكا مغايرا، نعتزف من خلاله بوجود الآخر ويناخزاته، دون استلاب فكري ولا انعزال حضاري، إذا ما أردنا النهوض بأعباء الأمة و بالنشء، فالانعزالية فكر بالي يؤدي إلى الانغلاق على الذات والاعتراب موجة ركبها المولوعون بالغرب، وانقادوا لها بدون تفكير في العواقب، والنتيجة يثبتها الواقع المرير الذي يتخبط فيه شباب اليوم²⁰، الذي تلبس بثقافة الآخر، و مجدها إلى حد لم يعد يفرق فيه بين ما هو من قيمه و ما هو لغيره، بل وصل به الحد إلى التشبع بكل ما هو أجنبي على حساب عاداته و تقاليده .

4- مفهوم اللغة العربية ومهمات المناهج الجديدة: تتعرض اللغة العربية لأزمة حادة بسبب محاولات الطعن فيها، أو بسبب تشجيع اللهجات المحلية واستعمالها في الكتابة²¹. كما تواجه عدة تحديات منها إغراقها "بكثير من الألفاظ الأجنبية لتفتيت اللغة الفصيحة"²²، وهو الأمر الذي ينعكس سلبا على الطلبة الأجانب لما يحتكون أثناء أحاديثنا معهم يمثل هذه المفردات الأجنبية المنزوعة من اللغة الفرنسية، فيعتقدون أنها اللغة الأفضل و الأمتن.

ومن أجل تفادي التهميش الداخلي للغة و هو من أبرز مظاهر العولمة اللغوية، لا بد من استخدام اللغة الفصيحة أثناء التدريس وليس اللغة العامية . وهذا التحدي الجديد المفروض على اللغة العربية سببه الروح الانهزامية وتقاعس أبنائها في جعلها لغة الحديث والتدريس، وتبديد التبعية الثقافية، وكل أشكال الهيمنة الأجنبية، وإحلالها بالإبداع و الإنتاج الجديد²³. والأمة التي تحمل لغتها بهذا الشكل، هي أمة تحتقر واقعها، وتفرض على نفسها العزلة، فتفقد بذلك كل عوامل الانتشار والذيع بين الناس.

إن الهوية العربية والإبداع الفكري هما السبيلان الوحيدان اللذان يحميان واقعنا التربوي المزري، والطريقان الأنجعان لبسط مناهج تربوية غير الناطقين باللغة العربية متماشية مع أصالة جذورنا وعراقنا قيما و متفتحة على حضارات الغير، ولكن بعيدا عن الفلسفات المزوجة بأفكار مسمومة، يحاول الغرب ترويجها لنا. وإذا أردنا فعلا إعداد نشء متماسك البنية، و قادر على مواكبة الركب الحضاري، علينا التفكير مليا في إعداد مناهج تراعي أصالة الأمة ومرجعيتها الفكرية، ولا مانع من إلباسها ثوب الحدائة الذي نساير به الركب العلمي و التكنولوجي.

5- مرتكزات القيم التربوية عند بناء المناهج اللغوية:

5-أ- اللغة العربية: تعتبر اللغة ضمير الأمة، تحي بحياته و تنفى بفنائه، وأي نظرة دونية لها أو تحاذل في تقديرها وإعطائها المكانة المرموقة التي تستحق، أو التقليل من قيمتها، بوصفها لغة عاجزة وغير متطورة ولا تملك موروثا ثقافيا، تستطيع من خلاله احتواء الحضارات أو مسايرة التقنيات الحديثة والتكنولوجيات المعاصرة، أو محاولة استبدالها بلغات أجنبية تحت تأثير الانبهار بكل ما هو أجنبي، أو بدعوى التفتح على الآخر، متناسين أن اللغة العربية لغة عالمية و خصبة في مفرداتها، ولها قدرة عجيبة على التجدد لاتصافها بظاهرتي التوليد والاشتقاق لا تضاهيهما فيهما أي لغة أخرى.

ولأي لغة وظائف عديدة غير وظيفتها الأساسية(الاجتماعية) المتمثلة في التواصل البشري المعمول للتعبير عن الأفكار ومختلف الحاجات و الرغبات، حيث تمكنه هذه الوظيفة من الاطلاع

على "أفكار غيره وما يدور في عقولهم من أحاسيس." ²⁴ وتتجلى الوظيفة الثانية (الثقافية) في تخزين المنتوج العلمي والمعرفي للأمة المنتمية لها، وفي اعتبارها الوسيلة المعتمدة في تعليم النشء وتوجيهه وإكسابه مختلف الخبرات والمعارف والاتجاهات. كما عدت وسيلة للإقناع بفضل ما تحدثه في نفسية السامع من ردود أفعال وانفعالات تبعا لطبيعة الموقف ²⁵. و"هي اليوم واحدة من اللغات الست التي تكتب بها وثائق الأمم المتحدة، كما تعتبر بتراتها الضخم إحدى أهم اللغات الحية في العالم." ²⁶ ورغم مكانتها الدولية، وثقل وزنها بين اللغات العالمية الأخرى، إلا أنها تعاني من إجحاف أبنائها في حقها، بدعوى الانفتاح على الآخر والانبهار بكل ما هو آت من الغرب، حيث حادوا عنها واستخدموا لغات أخرى متناسين أن تلك اللغات أقل مرونة و استيعابا للمصطلحات الحضارية من لغتهم الأم. ²⁷

لذلك وجبت العناية بها كمادة تدريس "من حيث تحديدها و بيان نوعها ومفرداتها لها ارتباط بنوعية الطالب الذي سيتعلمها فهو طالب يقصد السياحة والإقامة مع العرب حيناً أو التحصيل الدراسي حيناً آخر، لذلك يجب أن تخدم المادة هذا الطالب وتيسر له الاتصال بالعرب والتعايش معهم." ²⁸

5-ب- البيداغوجيا: حيث تدعمت المناهج الجديدة بتطبيق مقارنة جديدة في التدريس تقوم على بناء معارف المتعلم داخل سياق اجتماعي ومن خلال التعليم الذاتي. وهي "أداة للتفاعل بين المتعلم و المدرس" ²⁹ من جهة، وبين المتعلم وأقرانه من جهة أخرى، ³⁰ وتحاول بناء استراتيجيات قائمة على :

- توفير الوسائل اليداكتيكية اللازمة لسط وتقدم المحتوى التعليمي المسائر لمتطلبات الدرس اللغوي في شكل نشاط مسموع أو مكتوب، متمثلة في: أجهزة الصورة والصوت، الرسومات التوضيحية و توظيفها بالشكل الصحيح، مراعين الفروق الفردية بين المتعلمين. ³¹
- إلحاق كل محتوى تعليمي بالتقويم لمعالجة الاختلالات بعد الانتهاء من مختلف الأداءات والنشاطات، وبناء تصورات صحيحة للمستوى الحقيقي الذي بلغه كل متعلم داخل الحجرات.
- البناء المتدرج للمادة اللغوية المراعي للقدرات وطبيعة المضامين والمستويات الدراسية.
- التركيز على الكيف وتحاشي الحشو المعرفي، تحسينا للمردودية في التعلم المؤسس على الاكتساب اللغوي في إطار شمولي لا تجزئي للمكونات. وهذا النوع من التدبير يقتضي من المعلم إيلاء بالغ الأهمية لتعلم اللغة كرافد مهم للحفاظ على الهوية، وكنظام متكامل يضم كامل عناصره (الصوتية والتركيبية والنحوية والصرفية)، عن طريق التدريب الشفهي والكتابي كمدخلين أساسيين،

لبلوغ الكفاءة الشفهية والكتابية لدى المتعلم حين يريد التواصل مع الآخرين، سواء كان معلما أو زميلا³²، ولطالما سيطر المنحى الكمي "على مضامين برامجنا، فالمواد كثيرة والبرامج لها منحى موسوعي إذ تزخر بالأهداف النوعية و المحتويات المعرفية على نحو يصعب معه التمييز بين ما هو أساسي جوهري وما هو ثانوي عرضي"³³.

- الاتسام بطابع الخصوصية والقصر لتركيزه على جزئية محددة من اللغة ومهارات معينة.

- التركيز على الدارس باعتباره محورا للعملية التعليمية التعلمية وليس على المعلم

5-ج- المعلم: أكدت المناهج ذات الطرح المعلوم أن جودة التعليم لا تتم إلا بتغيير النظرة إلى المعلم، فأصبح في ضوء هذه المقاربة الجديدة التي أفرزتها العولمة لا يقدم "معارف جاهزة إلى المتعلم ولكن يقدم له التوجيهات، ويثير فيه التساؤلات فتدفعه- أي المتعلم - إلى استغلال موارده وإمكاناته لاكتساب المعارف بعد اكتشافها وتنظيمها وبنائها بصورة تسمح باستدعائها كلما اقتضت الضرورة ذلك".³⁴ كما يجب على ذات المعلم "أن يتسلح بتكوين ملائم لطبيعة مادة التدريس. فالعمل التواصل في حصة أو فصل اللغة يفترض تمرسا بمبادئ حركية المجموعات وتسييرها... ومعرفة جيدة بمنطلقات التواصل اللساني وعناصره وظروفه..."³⁵

5-د- المتعلم: أعطي له دور الريادة، وأصبح هو قطب العملية التربوية وحياته منبع أساسي للتعلمات المستديمة و"أحد أهم ركائز المناهج"³⁶، ولم يعد المعلم بعد ذلك مالكا للمعرفة ومسيطر عليها، بل مقترحا للوضعيات، ومفاوضا، وموجها للمتعلمين، من أجل توريث الأغلبية في مساعي بناء التعلمات³⁷ وما يتعلمه المتعلم من وضعيات دالة بالنسبة إليه، يبقى أثره ويدوم.

طبيعة ثنائية العقد الديداكتيكي (معلم - متعلم) في المناهج الجديدة:

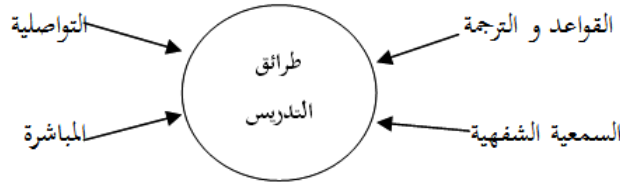
بعد حدوث الثورة العلمية، وتطور الإنتاج العلمي وتسارعه في مختلف مناحي الحياة، وظهور أنماط جديدة من الإنتاج، أصبحت المناهج التربوية التقليدية عديمة المردودية، وعاجزة عن تحقيق تكوين ملائم لمتعلم اليوم، وصارت ضرورة الإصلاح والتغيير أكثر من واجبة لمسايرة المستجدات الحاصلة في سوق الشغل، مما حتم على مدرسة اليوم التعامل الجدي مع هذه التحولات، بتوفير المهارات اللازمة للمتعلمين، تستجيب لتطلعاتهم.³⁸ وقد كان للبنائية الفضل في تغيير الأدوار التي يلعبها كل عنصر من عناصر المثلث الديداكتيكي (معلم - متعلم - محتوى)، فانتقلنا عند وضع المناهج من منطق المعارف إلى منطق التعلمات، و من معلم مؤتمن على المعارف إلى وسيط ومساعد على حدوث التعلمات، ومن متعلم مكثف بالإنصات والإصغاء إلى مشارك و باني للمعرفة عن طريق عمليتي الاستيعاب والإدماج للمضامين المقدمة من قبل المعلم، عن طريق هيكلية

المعارف السابقة، وليس تراكمها³⁹ وهو ما يسمح وفق هذا الإصلاح الجديد للمناهج من "إعادة النظر في طبيعة العلاقات بين عناصر عملية التعليم والتعلم، ومن ذلك أنها تضع المعارف في خدمة الأغراض الخاصة للمتعلم وتؤسس لممارسات بيداغوجية جديدة تختلف عن النموذج التقليدي والتراكمي..."⁴⁰ ليس فحسب في إطار المناهج الموجهة للناطقين باللغة العربية من أبنائها، بل كذلك للأجانب.

6- المنهج المتبع في تعليم اللغة: تقتضي المنهجية المخصصة لتعليم اللغة العربية لناطقين غيرها جملة من التدابير البيداغوجية، يجب مراعاتها أثناء الاحتكاك المباشر للمعلم بالمتعلم، تقتضي منه ما يلي:

6-أ- الطرائق المنتهجة في التعليم:

ظهرت عبر الزمن سلسلة من الطرائق التربوية تمثلت في الآتي:



الشكل (1): طرائق التدريس

وعلى مدرس اليوم الذي يجب أن يتسم بالإبداع والابتكار، من اختار ما هو أنسب له، عند بسط المعارف للمتعلم، منتهجاً أسلوب المزج بين الطرائق في شكل انتقائي، حيث يمكنه اختيار الطريقة المباشرة عندما يريد خدمة الحوار الجيد و تبادل الحديث بين المتعلمين لغرض تقليد الأصوات، كما يمكنه من انتهاج طريقة القواعد والترجمة في حالة ما إذا أراد المدرس تزويد متعلميه بمفردات جديدة لإثراء رصيده اللغوي، كما يمكنه من الارتكاز على الطريقة السمعية الشفهية التي تتشابه كثيراً مع الطريقة المباشرة لخدمة الجانب النحوي والصرفي، أين يركز فيها على المنطوق وجودة التراكيب .

وهكذا يستطيع المدرس مع طلبته عند توظيف جميع هذه الطرائق، من تجاوز العيوب التي تتميز بها كل طريقة من طرائق التدريس الأربعة*، من أجل الإلمام بالكفاءات الأساسية للغة، متمثلة في:

الكفاءات اللغوية

القدرة على اكتساب ثقافة أهل اللغة

القدرة على التواصل الجيد للغة

الشكل(2): الكفاءات الأساسية للمتعلم الأجنبي اللغة العربية

6-ب - انتقاء نصوص مناسبة للغرض: يتم إعداد برامج دراسية تكون في العادة خاصة، وذات ارتباط وثيق بحاجات المتعلم الأجنبي الكبير في السن، وعبر مجالات معينة، تولد في داخله رغبة قوية للإقدام على تعلم اللغة العربية، واكتساب كفاءات لغوية مهمة، تمكنه من مواجهة مختلف الصعاب التي تواجهه في مكان العمل، لذلك من الواجب مراعاة نصوص ذات محتوى معرفي وثقافي متماشي مع طبيعة هذه الأغراض، ويصب في مصلحته أو وظيفته التي يشغل فيها. ولتحقيق هذه الغاية في المناهج المهيأة لتعليمي اللغة العربية الأجنبي، لابد من تناول مواضيع ذات صلة بالأغراض التي جاء من أجلها هؤلاء المتعلمون، وبالتركيز على المعلومات التي يجهدون لغتها.

6-ج - استثمار مدرات الاهتمامات في عملية التعلم: وإذا أردنا خلق الدافعية نحو التعلم وتقويتها، وزيادة المردود المدرسي، لابد من الانطلاق من مدارات اهتمامات المتعلم كسياق تدرج فيه النشاطات اليومية المقدمة في الدرس اللغوي، واستثمارها لتنمية قيمه وربطها بواقع مجتمعه .

6-د - تحقيق التناول المشترك بين المواد للظواهر المدروسة: لابد من إخضاع التعليمات الأساسية المدروسة في المختلف المستويات الدراسية كمفاهيم إلى وجهة نظر متعددة، في جميع المواد. فظاهرة العنف يمكن أن تتناول من خلال النصوص المحضرة وفق التخطيط الأسبوعي في المواد اللغة العربية من خلال اعتبار مضمون النص كنقطة انطلاق لتوظيف الظواهر النحوية والصرفية و الإملائية الموجودة في النص.

6-هـ - مراعاة مبدأ الترابط⁴¹: بين كفاءات المواد الممثلة لفروع اللغة العربية والحرص على استعمالها في التعلم الجديد. فمثلا يتعلم كفاءة الربط و التنسيق بين الجمل، من خلال التدريبات النحوية والصرفية فيوظفها عند الحاجة في إنتاج نصوص شفوية أو كتابية .

6-و- تنمية كفاءة إبداء الرأي: بالتدريب على اتخاذ المواقف بخصوص القضايا المعروضة عليه في نص من النصوص، ذات الصلة مباشرة بمدارات اهتماماته، ومقارنتها بمواقف الآخرين، حتى تتشكل لديه ثقافة الحوار⁴² والاختلاف وتجاوز الذات. وليكن مثلاً في نهاية أحد النصوص موضوعاً للنقاش، فيدعو المعلم لتقاسم رأيه حول قضية من القضايا المرتبطة مباشرة بمضمون النص المدروس سالفاً، فيبرز المتعلم موقفه منها: بإظهار حبه أو كرهه لها، ويكتشف في الأخير أن حبه لها لا يعني نفس الموقف عند الآخرين، وهكذا يصل إلى التمييز بين موقفه وموقفه الآخرين.

ز- تحديد الحاجات التي لأجلها ينخرط الطلاب الأجانب في تعلم اللغة العربية .

ح- الجنوح إلى النظرة الشمولية في تناول الأنشطة اللغوية المرتبطة بالمهارات اللغوية الأساسية ومنها: القراءة والكتابة.

ط- انتقاء نصوص مناسبة للغرض الذي تم اختياره من قبل المتعلم

7-المعايير المختلفة لتعليم اللغة العربية: يقبل على تعلم اللغة العربية كثير من الطلاب، ومن جنسيات متعددة، ولدواعي وأغراض تنحصر في:

7-أ- أغراض عامة: أو ما يطلق عليها بتعلم اللغة العربية المتصل بالمواقف الحياتية أي لقضاء شؤونهم في الحياة بشكل عام.⁴³

7-ب- أغراض خاصة: يقبل جمهور من غير العرب متعدد الوظائف والتخصصات على تعلم اللغة العربية من أجل تلبية أغراض مرتبطة بمجال اشتغاله، وبقصد بما كل محتوى معرفي أو مفاهيم ثقافية يريد المتعلم اكتسابها من خلال اللغة العربية. وهذا النوع من التعلم غرضه مختلف عن الأول، فالإعلامي يبحث عن اللغة لأغراض إعلامية، والديبلوماسي لأغراض سياسة، الطبيب لأغراض صحية، ومنهم من يدرسها لممارسة الشعائر الدينية، وآخرون لأغراض تجارية أو الحصول على وظيفة، هكذا.

8-المنهجية المتبعة عند بناء المناهج اللغوية: توظف هذه المنهجية "المنهج التكاملي في تعليم العربية، أي التركيز على المضامين الاجتماعية والثقافية والفكرية والدينية الحضارية و التاريخية، بالقدر نفسه الذي يركز على البعد الاستعمالي للغة..."⁴⁴

• الاقتراحات والتوصيات:

من خلال ما تم عرضه في هذه الورقة البحثية، لا يمكن أن ندعي سلبية مطلقة ولا إيجابية مطلقة للعملة ولوسائلها المسخرة للإنسان المعاصر، ممثلة في القنوات فضائية، والشبكة العنكبوتية،

وأفكار البث المباشر، وغيرها. فقد حملت لنا تغييرا إيجابيا مس النواحي المادية للقيم، بفضل تطور قنوات الاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا، تيسرت على إثره أمور الأفراد وحياتهم، وفي الوقت نفسه حملت لنا ثقافة مغايرة لقيمنا وأصالتنا العربية الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى تهديد هوية الشعوب المستضعفة، وهيمنة ثقافة الشعوب المحتلة للشبكات الإعلام العملاقة.

وحتى نكون متعلمين قادرين على العيش وفق ثقافة التغيير والثبات، لابد من تنشئتهم تنشئة صحيحة على قيمهم أولا، ثم ممارسة و توظيف تلك القيم بشكل صحيح في المجتمع، ومساعدتهم على اتخاذ المواقف المناسبة تجاه ما يعرضه عليهم الغير، من خلال إدخال إصلاحات على محتويات النصوص اللغوية الموجهة للاستثمار. كأن تأتي بطروحات جديدة عن معنى من المعاني، أو مفهوم متعلق بالتغيرات الجديدة، الطارئة في مختلف مناحي الحياة، ذات الارتباط الوطيد بميولات المتعلمين.

- إغناء نصوص اللغة المقدمة للمتعلمين بالقيم المختلفة، النابعة من الانتماء الحضاري، والعقائدي للمتعلم، عند إجراء التطبيقات بالشكل الذي يخدم اللغة والقيم دفعة واحدة، وفي شكل شمولي. وهكذا يتم الربط بين الدرس اللغوي والاتجاهات التي يحملها في طياته. وبذلك تتجنب إقبال كاهل المعلم بمحتويات ومضامين إضافية . فمثلا يتم اختيار نص يتحدث عن أحد ميولات المتعلمين وهو السياحة ، ويتم فيه معالجة مضامين (التسامح، التقارب البشري، التضامن) المستوحاة من التربية الإسلامية خلال التطرق لفروع اللغة:(الصرف، النحو، الإملاء، البلاغة...)

- الاعتناء باللغة العربية كعنصر فعال حامل لمقومات الهوية العربية ، يجعلها لغة الحديث في البيت والمدرسة والشارع، وطرده فكرة اللهجة العربية من أذهان الطلاب الأجانب كلغة أنسب للتعليم، بل التشبث بالفصحى لجعلهم تبادلونها في الأحاديث اليومية مع بعضها بعض أو مع غيرها من الشباب العرب.

هوامش البحث:

- *- العولمة: مصطلح يقابله باللغة الفرنسية: Mondialisation وباللغة الإنجليزية Globalisation
- 1 - ينظر: ظاهرة العولمة بين رفض العرب والإسلاميين والترويج الغربي، بركات محمود مراد، كتاب الأمة، ص.18
 - 2- ينظر: العولمة، سليمان بن صالح الخراشي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى، 1999، ص.15
 - 3- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية الطبعة الأولى، 2009، ص.87
 - 4 - ينظر: العولمة والهوية الوطنية، غازي بن عبد الرحمن القصبي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، 2002، ص.164

- 5 - ينظر: العوالة، جلال أمين، دار الشروق ، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009، ص.17
- 6 - المرجع نفسه، ص.34
- 7 - المرجع نفسه، ص. 35
- 8 - العوالة الثقافية الحضارات على المحك، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص.421
- 9 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 10 - مؤتمر الاتجاهاات الحديثة لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، ورقة بحثية ل: أحمد سيد محمد إبراهيم و علي عبد المحسن عبد التواب الحديبي، 1-2 ماي، أذربيجان، 2008، ص.30
- 11 - ينظر: أفضل منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها- من وجهات نظر علم اللغة الاجتماعي- يون أون كيونغ مجلة الأستاذ، العدد 201، د ط ، 2012، ص 97-98
- 12 - ينظر: المرجع نفسه، ص.525
- 13 - ينظر: المرجع نفسه، ص.106
- 14 - ينظر: العوالة المفاهيم الأساسية، أنابي لموني و بيتسي إيفانز، ترجمة: آسيا دسوقي، الشبكة العالمية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص.58. 15- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 16 - العوالة مالها و ما عليها، محمد عبد القادر حاتم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، د ط ، 2005، ص. 19
- 17 - المرجع نفسه، ص.69
- 18 - ينظر: المرجع نفسه، ص.74
- 19- المرجع نفسه، ص.12
- 20 - المرجع نفسه، ص.14
- 21 - ينظر: مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الثاني، 2012، ص.434
- 22 - المرجع نفسه، ص. 436
- 23 - ينظر: المرجع نفسه، ص. 155
- 24 - المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها، علي سامي الحلاق، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، دط، 2010، ص.39
- 25 - ينظر: المرجع نفسه، ص.40
- 26 - المرجع نفسه، ص.44
- 27 - ينظر: المرجع نفسه، ص. 48
- 28 - تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها- قضايا وتجارب-المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم، دط، تونس، 1992، ص.42،
- 29 - سند تربوي: الكتاب السنوي ،المركز الوطني للوثائق التربوية، حسين داي، الجزائر، د ط ، ديسمبر 2001 ص 36.
- 30- ينظر: البرامج والتوجيهات التربوية المنقحة لسلك التعليم الابتدائي، مديرية المناهج، وزارة التربية المغربية، يونيو 2011، ص. 10
- 31 - ينظر: المرجع نفسه، ص.19
- 32 - ينظر: المرجع نفسه، ص.25

- 33 - نحو مجتمع المعرفة-الإصلاح التربوي الجديد-الخطة التنفيذية لمدرسة الغد 2002-2007، سند تكويني مناهج تونس، دط، جوان 2002، ص.20
- 34 - المدخل إلى التدريس بالكفاءات، محمد الصالح حثروبي، دار لهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط ، د ت ، ص15 .
- 35 - تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها- قضايا وتجارب-المنظمة العربية للتربية و الثقافة و التعليم، دط، تونس، 1992، ص.14
- 36 - التربية البدنية في ظل المقاربة بالكفاءات، عيسى العباسي، دار الغرب للنشر و التوزيع، د ط ، د ت ، ص.81
- 37 - ينظر: حواطر مرب في البيداغوجيا و التعليمية، موهوب حروش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، د ط ، 2010، ص.52
- 38 - ينظر: برامج البرامج، سند تكويني ، إدارة البرامج و الكتب المدرسية، تونس، د ط ، سبتمبر 2002، ص.5
- 39 - ينظر: المرجع نفسه، ص.8
- 40 - المرجع نفسه، ص.9
- *- لكل طريقة من الطرائق الأربعة عيوب: فالطريقة المباشرة و السمعية الشفهية تَمَلان التدريب على مهارتي القراءة والكتابة، و طريقة القواعد و الترجمة تَمَل القواعد و التقليد.
- 41 - ينظر: سند تربوي: دليل المعلم في اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الأساسي، عز الدين الرزقي وآخرون، المركز الوطني البيداغوجي، وزارة التربية و التكوين التونسية، د ط ، د ت ، ص 7.
- 42 - ينظر: سند تربوي: دليل المعلم في اللغة العربية، السنة السادسة من التعليم الأساسي، محرز بلعيد وآخرون، المركز الوطني البيداغوجي، وزارة التربية و التكوين التونسية، د ط ، د ت ، ص.8
- 43 - ينظر: مجلة العاصمة ، المجلد الخامس، كيرالا الهند، 2013، ص.121.
- 44 - المرجع نفسه، ص.123.